

## تباين العلاقة الإرشادية بين الثقافة الجمعية والفردية

أ.د. عبدالله صالح الرويتع\*

### مقدمة

يمكن القول أنه لا يوجد عنصر مشترك بين جميع نظريات الإرشاد والعلاج النفسي\*\* على اختلاف منطلقاتها سوى العلاقة: العلاقة بين المرشد (أو المعالج) والعميل (أو الحالة). وهذه العلاقة قد تكون جزءا من العملية الإرشادية أو وسيلة لتنفيذها فقط. ومهما يكون التوجه فإنها تظل مهمة جدا لسبب بسيط وهو أن الإرشاد النفسي قائم على "علاقة إنسانية"؛ ومن خلالها يتم تغيير أو تعديل السلوك أو تبصير العميل. وهذه العلاقة الإنسانية هي ما يميز الإرشاد النفسي عن العلاج الدوائي حيث التعامل مع آليات بيولوجية فقط. وتبرز العلاقة كعنصر مهم في الإرشاد لأن الأطر النظرية في- هذا المجال- ترى أن سبب المشكلة (الاضطراب أو المشكلة السلوكية) خبرة ما تمت من خلال علاقة مع آخر أو آخرين. لذا فإن الإرشاد يتم عن طريق آخر. وبعض الأطر النظرية ترى أن العميل بحاجة للمساعدة؛ وهذا يتم من خلال أساليب عديدة تدخل العلاقة كمكون أساس فيها. لذا فإن العلاقة مهمة سواء كانت جزءا من- أو أنها طريقا لتنفيذ- العملية الإرشادية. وهذه العلاقة- بغض النظر عن وزنها في العملية الإرشادية- لا يمكن عزلها عن ثقافة المجتمع سواء حين التنظير أو حين الممارسة. فيما يخص الأول، كثيرا ما نجد أن خبرات المنظر في الإرشاد والشخصية لا يمكن عزلها عن الخبرات الشخصية. بمعنى آخر، إذا كان التنظير نتاج معرفي قدراتي، فإن الخبرات لا يمكن فصلها عن هذا الجانب. فيما يخص الثاني، فإن الممارسة ومن خلال توقعات المرشد و العميل لا يمكن عزلها عن السياق الثقافي.

ومن تلك العوامل المهمة في الثقافة عامل الجمعية collectivism مقابل الفردية individualism؛ حيث يلاقي- هذا العامل- الكثير من الانتباه مترجما في دراسات عديدة حول ارتباطه أو انعكاسه على كثير من المفاهيم النفسية التي وجد أنها تتباين حسب موقع الثقافة على هذا البعد. فقد وجد- على سبيل المثال- أن العلاقة والتشئة الأسرية تختلف من المجتمع الجمعي

\*أستاذ علم النفس المشارك- كلية التربية- قسم علم النفس-جامعة الملك سعود.

\*\*سيتم استخدام كلمة "الإرشاد" للدلالة على عمليتي الإرشاد والعلاج النفسي.

عنه في الفردي. في المجتمع الفردي يلاحظ الاستقلالية والندية بينما هي اعتمادية وهرمية في الجمعي. هذا فيما يبدو قد يؤثر في التوقعات المتبادلة بين المرشد والعميل، إن لم يكن تصور العلاقة في إطارها التنظيري قد تأثر بهذا العامل منذ البداية. هذه الفرضيات عن العلاقة الإرشادية وثقافة المجتمع وتلازمهما هي ما سيتم طرحه حيث برزت العديد من الملاحظات العيادية التي تشير إلى نوع من عدم التناغم بين النظرية والتطبيق. وقد كان عامل الجمعية - الفردية من أهم العوامل أو المتغيرات التي ساهمت إلى حد كبير في فهم هذه الظاهرة.

### العلاقة الإرشادية

باختصار - وبدون التفصيل في الجوانب التنظيرية الدقيقة - يمكن تقسيم التيارات الإرشادية (والعلاجية) إلى قسمين فيما يخص النظر للعلاقة الإرشادية. قسم ينظر لها على أنها جزءا مهما من العملية الإرشادية إلى درجة تصل إلى كونها عنصرا أساسيا. قسم آخر ينظر إليها على أنها ليست جزءا من العملية بل وسيلة أو أداة للتواصل فقط وتنفيذ الإجراء أو الطرق الإرشادية.

ويمكن اعتبار التحليل النفسي والإرشاد المتمركز حول العميل ضمن النوع الأول. فالتحويل Transference وتحليله ركن أساسي في التحليل النفسي حيث يعيش الحالة مشاعر من الماضي ويسقطها على الحاضر، وبالتحديد على شخص المحلل. بمعنى آخر، يتكون جسر انفعالي ما بين المحلل والحالة. والتحويل مع العناصر الأخرى (مثل: تحليل الأحلام والزلات والتداعي الحر) هي ما يستند عليه التحليل النفسي. وهذه العلاقة الحالية وتحليلها يلقي الضوء على علاقات الفرد في الماضي والتي هي جزء من صراعاته. وهنا يلاحظ أن العلاقة عنصر مهم في العلاج حيث لا يمكن الوصول إلى التحويل إلا من خلال علاقة لها مواصفات معينة (الحيادية من طرف المحلل). (Arlow, 1984)

أما العلاج المتمركز حول العميل (أو الفرد) لدى روجرز فإنه لا يقل عن التحليل النفسي فيما يعطيه من وزن للعلاقة الإرشادية. وفي الواقع، إن هذا التيار - ذو التوجه الإنساني - يعطي العلاقة الوزن الأكبر؛ بل إن الفرض الأساسي ينص على العلاقة المتسمة بالتعاطف Empathy والتقدير الإيجابي غير المشروط Unconditional positive regard ، والأصالة Genuineness في حالة إدراكها من قبل العميل كافية للتغيير الإيجابي نحو تحقيق الذات.

(Meador and Rogers, 1984)

أما القسم الآخر، فيشكله التيارات ذات التوجه التربوي التعليمي: التيارات التي تنظر للعملية الإرشادية على أنها تربوية وتعليمية. هذا التوجه يشمل التيار السلوكي التقليدي والتيار السلوكي المعرفي بشكل عام بما يحويه من تيارات فرعية مثل: المعرفي Cognitive Psychotherapy والعقلاني الانفعالي Rational-Emotive Psychotherapy. وهذا التوجه لا يعتبر العلاقة جزءا من العملية الإرشادية كما في القسم السابق. هذا لا يعني أنها غير مهمة، ولكن العلاقة ليست كافية ولا تعتبر عاملا فعالا؛ إنما التركيز على الإجراءات التعليمية الأخرى سواء سلوكية بحتة أو سلوكية معرفية، وتكون العلاقة وسيلة لتنفيذ هذه الإجراءات (Ellis, 1984). لكن مع تنفيذ الإجراءات فإن العلاقة تبرز بشكل غير مباشر من خلال التوقعات المتبادلة للدور بين المرشد والعميل. ففي هذه التيارات يتوقع من العميل المشاركة الفاعلة والإيجابية في العملية الإرشادية: التعاون وأداء الواجبات. على سبيل المثال، نجد أن التيار العقلاني الانفعالي يتوقع أن يشارك العميل في العملية الإرشادية من خلال أداء الواجبات التي تشكل جزءا وعنصرا مهما في الإرشاد. والأعمق من هذا، أن العلاقة قائمة على التحاور والنقاش المؤدي لتنفيذ الأفكار غير العقلانية والمساعدة على التفكير العقلاني. مثل هذا التوجه يفترض ضمنا أن الفرد يعبر عن احتياجاته في علاقة تنسم بالاحترام والندية والاستقلالية والتقبل. والجدير بالذكر أن التيارات الرئيسة الأخرى في الإرشاد التي قد تتوزع في الوسط أو أطرافه بين القسمين السالفين مثل: تحليل التعامل Transactional Analysis، والجشطت Gestalt Psychotherapy، والمتعدد النماذج Multimodal Psychotherapy، تظل تقترض- بشكل مباشر أو غير مباشر- الاستقلالية والاحترام والندية والفعالية في العلاقة الإرشادية.

والسؤال المطروح، هل تأثر التصور النظري للعلاقة الإرشادية بالثقافة؟ بغض النظر عن الإجابة، فإن من الوارد وبشكل كبير- أن الجزء الآخر في العلاقة وهو التوقعات المتبادلة للدور بين المرشد والعميل لا يمكن عزلها عن ثقافة المجتمع. وعند الحديث عن ثقافة المجتمع فإن الكثير من العوامل تبرز؛ حيث أن عناصر الثقافة (مادية وغير مادية) متعددة. ولكن من أبرز ما يمكن تناوله من العوامل الثقافية عامل الجمعية مقابل الفردية. هذا العامل الذي حظي باهتمام كثير من الباحثين وفي مجالات متعددة (see Oyserman, Coon, and )

(Kemmelmeyer, 2002). لذا سيتم تناوله بالتركيز في الجزء التالي لمحاولة الكشف عن العلاقة أو التأثير على العلاقة الإرشادية.

### الجمعية والفردية

يمكن اعتبار هذا العامل الثقافي من أكثر العوامل التي استقطبت البحث ليس فقط في علم النفس إنما في مجالات علمية متعددة مثل السياسة وعلم الاجتماع وقبل ذلك - الفلسفة (Oyserman et al., 2002; Triandis Bontempo, Villareal, Asia, and Lucca, 1988). ويستند الاهتمام بهذا العامل - في مجال علم النفس - إلى أحد المسلمات الأساسية في علم النفس عبر الثقافي من أن المفاهيم النفسية تنتظم بشكل مختلف عبر الثقافات. ويشكل هذا العامل (الجمعية والفردية) أحد أهم العوامل التي قد تكمن وراء التباين في بعض تلك المفاهيم النفسية.

بإيجاز يشير مفهوم الجمعية collectivism إلى الثقافة التي يتحدد فيها بشكل كبير سلوك الفرد الاجتماعي بأهداف الجماعة (التي ينتمي لها الفرد) وليس أهداف الفرد الخاصة، ويتنازل الفرد للجماعة عن أهدافه الخاصة في حالة التعارض. بينما يشير مفهوم الفردية individualism إلى العكس تماماً: الثقافة التي يتحدد فيها سلوك الفرد الاجتماعي من خلال أهدافه الخاصة وليس أهداف الجماعة؛ لاسيما إذا حصل تعارض بينهما إلى درجة أن الفرد قد ينسحب من الجماعة ولا يتنازل عن أهدافه. لذا فإن تأثير الجماعات - في الجمعية - عميق وشامل، بينما هو محدود وسطحي في الفردية (Triandis et al., 1988). ويختصر البعض الثقافة الفردية في أن افتراضها الأساسي هو استقلال الأفراد بعضهم عن بعض؛ أما الجمعية فإن الفرد غير مستقل عن الجماعة كما أن هنالك التزامات وتوقعات متبادلة (Oyserman et al., 2002; Schwartz, 1990). بالتالي يمكن القول أن الثقافة الجمعية هي ثقافة "نحن" ووحدة التحليل هي الجماعة التي يذوب ويتنازل الفرد عن "فرديته" لأجلها؛ بينما الثقافة الفردية هي ثقافة "أنا" حيث وحدة التحليل هو الفرد الذي يعبر عن فرديته ولا يتنازل عنها. والجدير بالذكر أن الفرد في حالة عدم انصياعه لأهداف ومعايير والتزامات الجماعة فإنه يتعرض للنقد الاجتماعي ويوصف سلوكه بعدم النضج والأنانية؛ والعكس تماماً في الثقافة الفردية حيث التركيز على التعبير عن الخصوصية الذاتية الفردية؛ بل إنها قيمة إيجابية. (Suh, Diener, Oishi, and Triandis, 1998)

ويعزى لهذا الفرق - نحن مقابل أنا- في مستوى المرجعية في السلوك كثير من التباين في العديد من المفاهيم النفسية عبر الثقافات وفق موقعها على هذين العاملين. وبتناول مختصر لبعض تلك المفاهيم نجد أن المسائرة Conformity تكون أعلى في المجتمعات ذات الثقافة الجمعية مقارنة بالفردية (e.g., Bond and Smith, 1996). من جانب آخر، فإن المساندة الاجتماعية Social support أكبر في الثقافة الجمعية، كما أن الوحدة النفسية Loneliness منتشرة في الثقافة الفردية. كما أن الطلاق والجريمة والانتحار أكثر في الفردية. أما أهم انعوامل المحددة للسلوك الاجتماعي فهي الاتجاهات في الثقافة الفردية. بينما هي المعايير الاجتماعية في الثقافة الجمعية (ولعل هذا يلقي الضوء على ارتفاع المجازاة في الأخير)؛ وتستخدم الآليات الخارجية (مثل الدين والسمعة) أكثر في الجمعية بينما نجد آليات داخلية (مثل لوم الذات) في الفردية (Triandis et al., 1988). كذلك وجد أن العزو Attribution شخصي في الفردية بينما هو موقفي في الجمعية (Oyserman et al., 2002). وتمتد الفروق بين الثقافة الجمعية والفردية- إلى مفاهيم نفسية عديدة ليست موضوع الطرح هنا؛ ولكن ما يمس موضوع العلاقة الإرشادية بشكل مباشر هو ما وجد من طبيعة العلاقات فيما بين الثقافة الجمعية والفردية. على سبيل المثال، وجد أن التنشئة الأسرية تدعم الاعتمادية والطاعة بينما الفردية تركز على الاستقلالية والمسؤولية والاستكشاف. هذا يتم من خلال علاقة هرمية في الثقافة الجمعية بينما هي أفقية في الثقافة الفردية (e.g., Triandis, 2001; Triandis et al., 1988; Triandis, 1990). وليس المجال هنا لاستعراض كل المفاهيم النفسية التي تتباين تبعاً للجمعية والفردية، ولكن ما تم الوصول إليه هو أن تأثيرها يمتد لمفاهيم كثيرة جداً في الجوانب المعرفية والانفعالية والدافعية والسلوك الاجتماعي والاتصال.

(see Triandis and Suh, 2002)

أما بعض تلك الانعكاسات المحلية من خلال أحد المجتمعات العربية (المجتمع السعودي) ما وجد -على سبيل المثال فقط- من أن بعد الانبساط يتكون من الاجتماعية فقط مع خروج الاندفاعية. وهذا قد يشير لعدم تقبل السلوك الاندفاعي اجتماعياً وتعزيزه عقابياً (الرويتع، ٢٠٠٢؛ الرويتع والشريف، ٢٠٠٢). كما لوحظ أن الخوف الاجتماعي يصل لمستويات مرتفعة (Alkhani and Arafa, 1990; Chaleby, 1987). ويمكن أن يكون التفسير هو الحساسية للتقييم الاجتماعي وقوة المعايير الاجتماعية، لاسيما إذا ما علمنا أن بعض بنود العصابية التي

تتناول "الحساسية من الآخر" بشكل عام لا تتشعب على عامل العصابية لأنه لا يوجد تباين على هذه البنود حيث أن الجميع حساس للتقييم من الآخر. (الرويتع والشريف، ٢٠٠٢)

وبشكل عام فإنه يمكن القول بأن المجتمعات العربية أقرب للجمعية منها للفردية - وإن تفاوتت فيما بينها- مقارنة بمجتمعات غربية. فعلى سبيل المثال، المجتمع المصري أعلى في الجمعية من المجتمع الألماني (Darwish and Huber, 2003)، لكنه أقل في نفس المتغير من بعض المجتمعات الخليجية. والخليجية والمصرية أعلى في الجمعية من المجتمع الأمريكي حسب عينات الدراسة (Buda and Elkhoully, 1998). بالتالي فما يقال عن الثقافة الجمعية ينطبق على المجتمعات العربية.

ختاماً، يجب الإشارة إلى أن الجمعية والفردية ليست أحادية المستوى فقط. هنالك مستويات أخرى وهي الجمعية والفردية الأفقية Horizontal والعمودية vertical (e.g., Traindis, 1996). كما أن هنالك مكونات على مستوى الفرد تقابل الجمعية والفردية وهي التمركز الجمعي Allocentric، والتمركز الشخصي Idiocentric على الترتيب (e.g., Triandis, 2001). بالإضافة لذلك فإن الجمعية والفردية ليست العوامل الثقافية الوحيدة فهناك - على سبيل المثال - فيما يخص الثقافة: التعقد أو Complexity، والشدة أو الإحكام Tightness. (Triandis and Suh, 2002)

وما يجب التركيز عليه هنا هو أن كثير من المفاهيم النفسية "تتلون" أو "تتباين" حسب متغيرات عوامل ثقافية؛ ولعل من أهمها عامل الجمعية مقابل الفردية. وبالتالي فإن الإرشاد النفسي لن يكون بمعزل عن هذا التباين. وهذا ما سيتم تناوله في النقطة التالية.

### العلاقة الإرشادية والجمعية والفردية

هنالك فرضيتان فيما يتعلق بالعلاقة الإرشادية والجمعية والفردية. الأولى تقول إن تأثير العامل الثقافي قد انعكس منذ البداية على المنظر (القائم بالتنظير) بغض النظر عن الاتجاه أو المدرسة. بمعنى آخر، لا يمكن عزل الثقافة عن الشخصية بكل مظاهرها المعرفية والانفعالية والسلوكية (e.g., Piker, 1998; Triandis, 2001). وبالتالي فإن المنظر يعبر عن ثقافته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ويمكن ملاحظة أن عددا كبيرا من التيارات الإرشادية تفترض في العمل التحكم والمسؤولية وهذه فرضيات الثقافة الفردية كما سلف. وهذا لا يعني أنها ليست أهداف الإرشاد التي يسعى لها، ولكن ليست افتراضات مسبقة سواء كانت مباشرة أو ضمنية.

وإذا ما تم استبعاد هذه الفرضية من منطلق أن التنظير كان حول ظاهرة إنسانية عالمية وأن الافتراضات المسبقة متحررة من الجانب الثقافي وأن الافتراضات هي جزء من العملية الإرشادية وأهدافها فإننا ننتقل إلى الفرضية الثانية.

تنص الفرضية الثانية بشكل كبير على أن المفاهيم الإرشادية -مع صواب الفرضيات والمسلمات الإرشادية- يختلف تناولها وتحققها من ثقافة لأخرى. مثال آخر أكثر تحديداً، إذا افترضنا عالمية ظاهرة التحويل، هل يمكن الاستجابة لها بالحيادية كما يصف التحليل النفسي أم أن الثقافة قد تتطلب تلون أو تعديل الاستجابة (ولو في داخل إطار الحيادية) لتحقيق الناتج العلاجي المنشود؟ وهل يمكن أن نجد إما مظاهر أو خطوات أو تسلسل مختلف للتحويل في مجتمع ينفصل فيه مجتمع الرجال عن النساء مثل المجتمع السعودي في حالة كون المرشد والعميل من جنسين مختلفين؟

أما موضوع الطرح هنا وهو العلاقة الإرشادية والجمعية والفردية فإنه مجال واسع تتضح فيه التباينات الثقافية. كما سلف فإن العلاقة في الثقافة الجمعية علاقة هرمية اعتمادية منذ البداية حيث العلاقة مع الأب الذي يتوقع الطاعة والانصياع. هذه العلاقة بخصائصها السالفة - كما نتصور - تنعكس على علاقات الفرد لاحقاً خارج نطاق الأسرة. فالعلاقة هرمية: أحد الأفراد المسيطر أو الرئيس؛ والذي ينتظر من الآخر الطاعة والتقدير أما الآخر فهو الأدنى في العلاقة حيث الاستكانة والطاعة وتقديم الاحترام (وربما المجازاة). هذا النمط نجده في العلاقات بشكل عام في الثقافة الجمعية ما بين المدرس في تفاعله مع الطالب، المدير والموظف، الشرطي والمواطن، أو الموظف الحكومي والمواطن. ومن الملاحظ أنه حتى في العلاقات التي تتطلب "احترام الندية" (وليس احترام الانصياع) وتتطلب الإنسانية وهي علاقة الطبيب بالمريض نجد العلاقة الهرمية السلطوية. يبدو أن الفرد في الثقافة الجمعية قبل أي تفاعل اجتماعي يقيم الموقف من حيث أين يقف في هذه العلاقة الهرمية الأدنى أم الأعلى. لذا نرى تبايناً كبيراً وسلوكاً نمطياً تمليه المواقف والمعايير وليس الاتجاهات الشخصية (Triandis et al., 1988; Triandis, 1989). كما نرى أن "الكذب" أكثر انتشاراً وقبولاً في هذه الثقافة -مقارنة بالثقافة الفردية- ربما للمجازاة "وحفظ ماء الوجه Face-saving" (e.g., Triandis, 2002)

أما الثقافة الفردية فنجد أن العلاقة الأسرية تبنى على الاستقلالية والمساواة. هذا ينعكس - فيما يبدو - على العلاقات خارج الأسرة حيث نجدها كذلك تتم وفق الندية والاستقلالية والتحكم

والتلقائية. كما أن العلاقات تتمحور حول إنجاز العمل بدون تدخل العلاقة (خلاف الثقافة الجمعية) وقد يتهم الأفراد في هذه الثقافة ( من قبل أفراد من ثقافة جمعية) بأنهم "ماديون" أنانيون" لأنهم يركزون على الإنجاز ولا يصبغون العلاقة بطابع شخصاني ولا يعطونه إلا ما تتطلبه العلاقة. وهذا ينطبق على كل الأمثلة الواردة سلفا في العلاقات. (Triandis et al., 1988)

هذه الخصائص لطبيعة العلاقة في الثقافة الجمعية والفردية هل يمكن عزلها أو استبعادها من العلاقة الإرشادية، سواء كانت العلاقة جزءا مهما من العملية أو أنها أداة فقط كما طرح في المقدمة؟ ما يبدو واضحا أنه لا يمكن فالعمل في الثقافة الجمعية (ومن خلال ملاحظات عيادية) يتعامل مع المرشد من واقع العلاقة الهرمية. بالتالي فإن العلاقة التي يتبناها المرشد - والقادمة من مجتمع فردي- والتي تفترض الندية والاستقلالية قد تؤثر سلبا على العلاقة العملية الإرشادية و بشكل كامل مما قد يقود إلى فشلها. بمعنى آخر، نجد العمل -في ثقافتنا العربية- ينتظر من المرشد أن يوجه العملية من البداية ودوره سلبي حيث التلقي والتنفيذ (دور الابن مع الأب). ويلاحظ أنه حين تكليف العميل بأي واجبات (في حالة الأسلوب المعرفي السلوكي) فإن العميل لا يكون جادا وإيجابيا، بل وقد يتهم المرشد -بشكل مباشر والأغلب بشكل غير مباشر- أنه لا يعمل ما هو مطلوب منه وبدلا من ذلك يضعه (أو "يرميه") على عاتقه كعميل. وإذا ما أظهر نوعا من الإيجابية والدافعية في بداية العملية الإرشادية فإنها تتبدد بسرعة وكأنها نتاج مجارة أو تحرك من واقع الهرمية وطاعة وليس مشاركة وإيجابية حقيقية. حالة أخرى قد نجدها وتخص المرشد ولا تقل تأثيرا سلبيا على العملية الإرشادية هي أن يمتد التأثير الثقافي ليصل المرشد. فقد نجد نوعا من المرشدين غير المؤهلين بشكل كاف حيث الثقافة ومخطوطاتها هي العامل المؤثر وتتجسد في تعامل هذا المرشد مع العميل من واقع الثقافة الجمعية المتميزة بالهرمية والسلطوية: إعطاء التعليمات وانتظار الطاعة وليس التعاون والنقاش. الملاحظ هو أن العميل والمرشد (في جميع الحالات) لا يكونا على وعي بالمشكلة وسببها الثقافي، وقد يذهب العزو في تعرقل العملية الإرشادية إلى عوامل أخرى من الطرفين. بشكل عام، هذا ما أطلقنا عليه سلفا "التوقعات المتبادلة" حيث نجد عدم تناغم هذه التوقعات بين المرشد والعميل مما قد يقود عملية للإرشاد للفشل. والتوقعات المتبادلة من طرف المرشد نتاج الإطار التنظيري الغربي الفردي التوجه؛ بينما العميل من ثقافة جمعية لا تتفق مع المنطلقات النظرية للمرشد. والعميل من جانبه يدخل العملية الإرشادية بتوقعات ما من ونحو المرشد من واقع ثقافته الجمعية لا تتفق وما



يتوقعه المرشد. وهذه الفجوة بين التوقعات المتبادلة من واقع التباينات الثقافية تم ملاحظتها في كثير من الباحثين؛ بل ويذهبون إلى مراعاتها في المجتمع الواحد المكون من ثقافات فرعية (كالمجتمع الأمريكي). (Sue and Sue, 1990)

أما في حالة التعامل بندية واستقلالية وتعاطف فقط (لاسيما حسب تيار المتمركز حول العميل) فقد يدرك ذلك بأنه رفض أو عدم ارتياح لحساسية الأفراد في الثقافة الجمعية وحاجتهم للارتباط (Oyserman et al., 2002). لذا فإن مقولة أن العلاقة -كما لدى روجرز- هي تعاطف empathy وليست عطا sympathy قد لا تكون ملائمة للثقافة الجمعية حيث تكون تعاطفا مع عطا ولو في البداية وبقسط بسيط. كما أن التعامل باستقلالية وندية وافترض التلقائية قد لا يكون الأسلوب المناسب في الثقافة الجمعية على الأقل في البداية. قد يكون من الأفضل أن تكون العلاقة في البداية متناغمة مع السياق الثقافي الجمعي من حيث معالجة الهرمية في العلاقة قبل بدأ -أو أثناء- العملية الإرشادية.

بمعنى آخر وباختصار، ما تم ملاحظته و ما يتفق مع مفهوم الجمعية والفردية (ومن خلال ملاحظات بحاجة لمزيد من التفصيل)، فإن العملية الإرشادية -فيما يخص أحد جوانبها الرئيسة وهي العلاقة- تتأثر بالعامل الثقافي في جانبين. الجانب الأول هو التعامل من واقع الهرمية مقابل الندية. الجانب الآخر، الاعتمادية مقابل الاستقلالية في الجمعية والفردية على الترتيب. وهذا لا يشمل كل الفروق التي قد تؤثر في العملية الإرشادية. على سبيل المثال -وكما تم ذكره- فإن أساليب العزو وطرق وأساليب التواصل والاتصال من المتغيرات التي يجب مراعاتها في الإرشاد. هذا إذا ما أضفنا متغير "الدين" من حيث كونه منظومة معقدة من المخطوطات المعرفية تشتمل على جوانب عديدة: أخلاقية وتفسيرية للكون والسلوك، ومعايير اجتماعية.

### الخلاصة

إن الثقافة محدد مهم من محددات الشخصية (e.g., Markus and Kitayama, 1998;Piker, 1998)، وبالتالي لا يمكن إغفال هذا المحدد في الإرشاد. وقد تناول عدد من الباحثين -وإن كان التركيز على الثقافات الفرعية في المجتمع الأمريكي- من جوانب عديدة فيما يخص تأثيره: دور الجمعية والفردية في الإرشاد (e.g. Sue and Sue, 1990; Williams, 2003; Yamauchi, 1998). ومن أهم عناصر الإرشاد "العلاقة" حيث يتم من خلالها تنفيذ

العملية الإرشادية. بالإضافة لذلك قد تكون من أهم العناصر حساسية للعوامل الثقافية. وبايجاز وتركيز، يمكن القول أن العلاقة الإرشادية تتأثر بالعامل الثقافي (الجمعية والفردية) في جانبين مهمين. الأول تركيز الفردية على الاستقلالية بينما هي اعتمادية في الجمعية. ثانياً، العلاقة الأفقية والندية في الفردية والهرمية في الجمعية. تنعكس هذه الخصائص الثقافية على العلاقة الإرشادية حيث لا يمكن عزلها.

لذا يوصى بتناول هذا الجانب بمزيد من البحث والتقصي لفحص تلك الملاحظات وصولاً إلى تقدير المدى والجوانب التي يجب مراعاتها (إن وجدت) في أساليب الإرشاد تبعاً للتباين الثقافي. ولكن من خلال ما تقدم، يمكن القول أن "الهرمية" و"الاعتمادية" يجب أخذها بعين الاعتبار في مجتمعاتنا العربية. ويمكن ترجمة هذا في أنه يوصى بالبداية مع العميل من واقع تلك الاعتمادية والهرمية في العلاقة، والتوجه نحو الاستقلالية والتلقائية والندية بالتدرج إما قبل أو أثناء العملية الإرشادية وفق المنظور الغربي ووفق النموذج الإرشادي السليم الذي تجمع عليه تيارات الإرشاد من استقلالية الفرد و"قطامه" النفسي كمحك للسواء. كذلك مراعاة "الحساسية للرفض" و"الارتباط الانفعالي" وذلك بأن يكون هنالك تعاطف وعطف. وختاماً أن يتم توعية المرشدين لاسيما أثناء التدريب بأهمية العوامل الثقافية ووصولاً لرفع مستوى استشعارها بعمق من قبل المرشدين لدى العملاء. ما يجب ذكره أن هذه التوصيات قد تعمق أو تفصل أو تغير أو ربما تنبذ في حالة البحث العلمي المنظم حيث أنها نتاج ملاحظات.

مراعاة تلك الجوانب ينبثق من مقولة الخصوصية الثقافية التي طالما تم تناولها بشكل فضفاض بدون الإشارة بشكل علمي لعواملها وعملها. ويجب الإشارة إلى أن الخصوصية لا تعني الأفضلية أو الاختلاف الكامل، وبالتالي رفض كل ما هو قادم من الآخر. ما تعنيه هو أن هنالك نقاطاً ومناطق متقاطعة أو مشتركة ولكن هنالك أيضاً استقلالية؛ وهذا ينطبق على كل المجالات بما فيها الإرشاد النفسي. وإذا ما أردنا تنمية حقيقية فيجب تجاوز التقليد الذي طال حتى المشاكل البحثية إلى تناول الناقد الناضج. كما أن العولمة لا تعني الانغماس لحد الغرق والذوبان في الآخر. كما أن رفض كل ما هو قادم من الآخر بحجة الخصوصية ليس أفضل من سابقه. والخصوصية والاختلاف الثقافي ليس "بدعة" عربية؛ بل إن كثير من الباحثين في مجال علم النفس عبر الثقافي يشددون على ذلك من حيث تناول علم النفس بصورته الحالية بحذر دون التعميم المفرط حيث أنه نتاج ثقافة غربية فردية. وختاماً يقول أحد الباحثين الغربيين حرفياً

"تقريباً كل نظريات وبيانات علم النفس المعاصر تأتي من عينات غربية (مثل الأوروبية، الأمريكية الشمالية، الأسترالية الخ). بالرغم من أن ٧٠% من البشر يعيشون في ثقافات غير غربية. إذا ما أريد لعلم النفس أن يكون فرعاً علمياً عالمياً فإنه بحاجة إلى أن تكون البيانات والنظريات من غالبية البشر". (Triandis, 1996, p 407)

### المراجع

- ١- الرويتع، عبدالله صالح والشريف، حمود هزاع (٢٠٠٢) صورة سعودية لمقياس أيزنك المعدل للشخصية EPQ-R. بحث مقدم في اللقاء السنوي العاشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية. ٤٦٨-٥٠٨.
- ٢- الرويتع، عبدالله صالح (٢٠٠٢). الخصوصية الثقافية في المجتمع السعودي: بعد الانبساط ووجهة الضبط في الصحة. رسالة التربية وعلم النفس، ١٨، ٢٠٧-٢٣١.
- 3-Al-Khani, M. A., and Arafa, M. A. (1990). Social phobia in Saudi Patients: A preliminary assessment of prevalence and demographic characteristics. *Annals of Saudi Medicine*, 10, 615-619.
- 4-Arlow, J. A. (1984). Psychoanalysis. In R.J. Corsini (Ed.), *Current psychotherapies* (PP. 14-55). Illinois: F. E. Peacock Publishers, Inc.
- 5-Bond, R., and Smith, P. B. (1996). Cultural and conformity: A meta-analysis of studies using Asch's (1952b, 1956) line judgment task. *Psychological Bulletin*, 119, 111-137.
- 6-Buda, R., and Elkhoully, S. M. (1998). Cultural differences between Arabs and Americans: Individualism-collectivism revisited. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 29, 487-492.
- 7-Chaleby, K. (1987). Social phobia in Saudis. *Social Psychiatry*, 22, 167-170.
- 8-Darwish, A. E., and Huber, G. L. (2003). Individualism vs. collectivism in different cultures: A cross-cultural study. *Intercultural Education*, 14, 47-55.
- 9-Ellis, A. (1984). Rational-emotive therapy. In R.J. Corsini (Ed.), *Current psychotherapies* (PP. 142-195). Illinois: F. E. Peacock Publishers, Inc.
- 10-Markus, H. R., and Kitayama, S. (1998). The cultural psychology of personality. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 29, 63-87.

- 11-Meador, B. D. and Rogers, C. R. (1984). Person centered therapy. In R.J. Corsini (Ed.), **Current psychotherapies** (PP. 142-195). Illinois: F. E. Peacock Publishers, In.
- 12-Oyserman, D., Coon, H. M. and Kemmelmeier, M. (2002). Rethinking individualism and collectivism: Evaluation of theoretical assumptions and meta-analyses. **Psychological Bulletin**, 128, 3-72.
- 13-Piker, S. (1998). Contributions of psychological anthropology, **Journal of Cross-Cultural Psychology**, 29, 9-31.
- 14-Schwartz, S. H. (1990). Individualism-collectivism: Critique and proposed refinements. **Journal of Cross-Cultural Psychology**, 21, 139-157.
- 15-Sue, D. W., and Sue, D. (1990). **Counseling the culturally different** (2<sup>nd</sup> ed.). New York: Wiley.
- 16-Suh, E., Diener, E., Oishi, S., and Triandis, H. C. (1998). The shifting basis of life satisfaction judgments across cultures: Emotions versus norms. **Journal of Cross-Cultural Psychology**, 74, 482-493.
- 17-Triandis, H. C., Bontempo, R., Viareal, M. J., Asai, M., and Lucca, N. (1988). Individualism and collectivism: cross-cultural perspectives on self-ingroup relationships. **Journal of Personality and Social Psychology**, 54, 323-338.
- 18-Triandis, H. C. (1989). The self and social behavior in differing cultural contexts. **Psychological Review**, 96, 506-520.
- 19-Triandis, H. C. (1996). The psychological measurement of cultural syndromes. **American Psychologist**, 5, 407-415.
- 20-Triandis, H. C. (2001). Individualism-collectivism and personality. **Journal of Personality**, 69, 907-924.
- 21-Triandis, H. C. and Suh, E. M. (2002). Cultural influences on personality. **Annual Review of Psychology**, 53, 133-160.
- 22-Triandis, H. C., McCusker, C., and Hui, C. H. (1990). Multimethod probes of individualism and collectivism. **Journal of Personality and Social Psychology**, 59, 1006-1020.
- 23-Williams, B. (2003). The worldview dimensions of individualism and collectivism: Implications for counseling. **Journal of Counseling & Development**, 81, 370-374.
- 24-Yamauchi, L. A. (1998). Individualism, collectivism, and cultural compatibility: Implications for counselors and teachers. **Journal of Humanistic Education & Development**, 36, 189-199.